صاحب مغناة «سجل انا عربي»

غازي مكداشي: شاشات التلفزة العربية تصنع انسانا جاهلا!

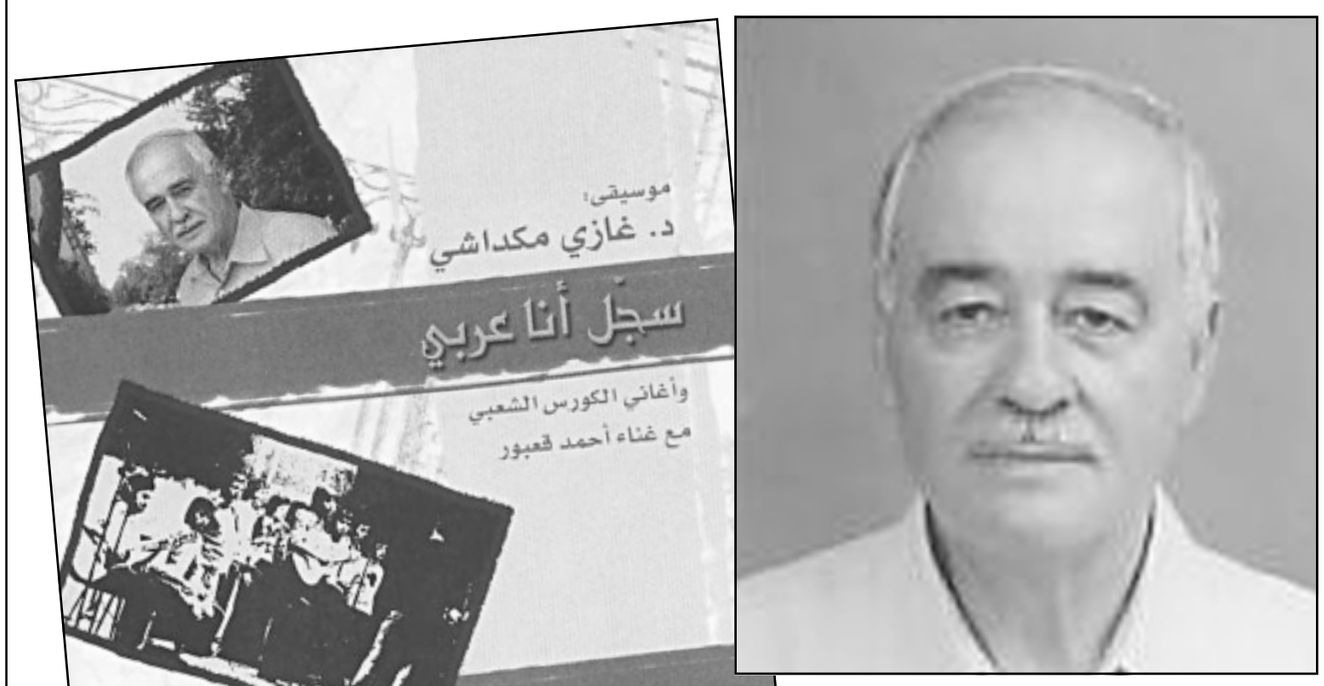

غازي مكداشي (القدس العربي)

بيروت ـ «القدس العربي»
ـ من زهرة مرعي:

جيل السبعينيات من اللبنانيين والفلسطينيين وكل الشباب العربي الذي تفتحت أحاسيسه على الروح القومية في تلك الحقبة يذكره قصيدة «سجل أنا عربي» للشاعر الفلسطيني محمود درويش والتي حولها الفنان غازي مكداشي إلى قصيدة مغناة تهتف بها الحناجر. وإلى جانب هذه القصيدة الشهيرة كان لمكداشي العديد من الألحان الوطنية والإنسانية التي أداها الكورس الشعبي بين 1973 و1976. ومن بعدها تحول مكداشي للعمل بمسرح الأطفال فأسس فرقة «السنابل» التي قدمت العديد من المسرحيات الراسخة بجماليتها وقيمها في أذهان شباب اليوم الذين نشأوا عليها وهم أطفالا.

اليوم أعاد غازي مكداشي طبع أعماله كافة على سي دي وكاسيت نظراً للطلب عليها ولحيثيات أخرى كحفظ حقوق المؤلف.

وبهذه المناسبة كان هذا الحوار مع المهندس المعماري والفنان الدكتور غازي مكداشي:

■ ما هي الحوافز التي شجعتك لإعادة طبع أعمالك الغنائية الوطنية التي يعود عمرها لثلاثة عقود مرت؟

■ لم يمض يوم إلا وكنت أُسأل عن هذه الأعمال من قبل الكثير من المواطنين والشباب بشكل خاص. وفي أحد الأيام كنت في مسرح بيروت ووجدت هذه الأغنيات مطروحة للبيع من قبل مجموعة من الشباب تحت إسم «الكورس الشعبي» فقط. وعندما سألتهم من لحن هذه الأغنيات كان جوابهم «لسنا ندري لكن قيل لنا أنه غازي مكداشي». حينها وجدت ضرورة لحفظ حقي كملحن وحق مجموعة الكورس الشعبي الذين تعبوا معي في ذلك الحين لنقدم عملاً مشتركاً، إضافة إلى الطلب على مثل تلك الأعمال. وقد تمت إعادة الطبع بجهد شخصي كما أوزعها بجهد شخصي أيضاً.

■ هل ترى أن الواقع العربي الذي نعيشه يتسع لسماع نشيد «سجل أنا عربي»؟

■ الأمر الذي قد يفاجئك أن أغنيات «الكورس الشعبي» مطلوبة من قبل الشباب بشكل كبير. لا شك بأن الناس ترغب بسماع هذا النوع من الأناشيد والأغنيات، رغم إعتيادهم سماع الهزائم المتواصلة عبر الأخبار. ورغم ذلك فالمجتمع ليس صراعات أو هزائم فقط بل فيه إنتاج حضاري، وثقافة تناهض ثقافة الهزيمة. كل الشعوب تمر في هزائم لكن من المطلوب التفكير بالمستقبل.

■ وماذا بالنسبة لإعادة طبع مسرحيات الأطفال؟

■ في الحقيقة أني تلقيت العديد من الطلبات لإعادة طبعها من قبل المكتبات وذلك في بداية التسعينيات، لكن إستجابتي تأخرت نظراً لإنشغالي ببحث الدكتوراة عن وحدة الفنون العربية والإسلامية. والمكتبات التي اتصلت بي تعود لسيدات ينتمين إلى الجيل الذي واكب أعمالنا المسرحية في إطار فرقة «السنابل» مع أطفالهن. في الحقيقة قبل هذه الطلبات إعتقدت أن تلك الأعمال لم تعد مطلوبة. في البداية كانت تجربتي من خلال طبع الكاسيت مترافقاً مع كرتونة جميلة فوجدت إقبالاً كبيراً، ومن ثم طبعته على سي دي أيضاً بعد أن تلقيت الكثير من الطلبات من المهاجرين اللبنانيين والعرب في مختلف أنحاء العالم وذلك بهدف ترسيخ اللغة العربية في أذهان أطفالهم، إضافة إلى القيم الشرقية التي تحملها تلك الأعمال.

■ كيف ولدت فرقة «السنابل» في عز الحرب الأهلية اللبنانية؟

■ كنت في لقاء مع فرقة «الكورس الشعبي» وطرحت عليهم رغبتي بالعمل مع الأطفال نظراً لحاجتهم الكبيرة للأعمال الفنية في ذلك الزمان. فالكل يعمل مع الكبار لكن فن الصغار مهمل تماماً. وقبل فرقة «السنابل» كان للراحل الفنان شوشو مسرح يومي للأطفال وذلك في الستينيات، كما كان هناك مسرح جوزف فاخوري للأطفال والذي تخصص في الدمى.

■ أعدت طبع خمس مسرحيات للأطفال فهل ترى أن أعمالاً قدمت قبل عقود تستجيب الآن لتطلعات الأطفال؟

■ من الطبيعي أن يتطور المجتمع، لكن ثمة قضايا إنسانية وقيمية تبقى هي نفسها. كذلك ثمة أسس في التعامل مع الطفل لا تختلف بين عصر وآخر ومنها التعامل معه نداً للند وإنطلاقاً من كونه كائناً ذكياً وفهيماً. فالطفل على سبيل المثال يكره أن نقول له «كيف إنت يا صغير». بل هو يرحب بمخاطبته ككبير وأن نحترمه غاية الإحترام. كما أن الطفل يتميز برغبة الإرتقاء. فإن قدمنا له عملاً فنياً بسيطاً فلن يجذبه. الطفل ينظر إلى فوق ولا ينظر إلى تحت. الأساس في العمل الفني هو جذب إنتباه الطفل من خلال أعمال راقية مختصرة، ولا تكرار فيها. كما تساعد تلك الأعمال التي قدمتها فرقة «السنابل» الطفل على رسم اللوحات المبنية على الحوار في خياله.

■ لماذا برأيك حققت أعمال فرقة «السنابل» النجاح بخلاف الكثير من المسرحيات التي تلتها؟

■ برأيي أن مسألة التخيل التي يتمكن منها الطفل خلال سماعه للسي دي أو الكاسيت هي التي تركت تلك الأعمال حية على الدوام. فالأهل وبالتالي الأطفال يجدون في تلك الأعمال قيمة فنية كبيرة. كما أن العمل الجماعي يحمل في طياته جاذبية فنية.

■ لنتذكر أعضاء فرقة «الكورس الشعبي»؟

■ تألفت من أحمد قعبور الذي كان ضمن الكورس حين قدم أغنيته الشهيرة «أناديكم». وكذلك كان معنا خالد الهبر عازفاً على الطبلة ومن ثم على الغيتار وآل الحافي الذين تميزوا بأهمية كبيرة، كذلك عبيدو باشا، وحسن ضاهر، وأسامة ومروان غندور وإيمان بكداش. لحنت الأغنيات وأشرفت على الكورس الشعبي لكن الأجواء الجماعية هي التي أدت إلى الإبداع الكبير. فرقة «الكورس الشعبي» قامت على الحوار وتبادل الأفكار. وكذلك كان العمل جماعياً مع فرقة «السنابل» فقط كنت أتولى التلحين بمفردي. ووجود هذه المجموعة كان مفيداً في تطور ورسوخ أعمال فرقة «السنابل».

■ تقول أن فرقة «السنابل» مستمرة فكيف تتجسد هذه الإستمرارية؟

■ مستمرة لأني مسؤول عنها ولم أتبدل في حين حدث الكثير من التبدل على صعيد الأفراد. فرقة «السنابل» في بداياتها تركز مكان عرضها في بيروت في النادي الثقافي العربي، كما جالت في كل لبنان، وفي العديد من البلدان العربية. وعندما بدأ أعضاء الفرقة بالدخول إلى الجامعات للتخصص بدأت تتناقص، كما أن البعض منهم أخذ خطاً مستقلاً وهذا ما أفرحني. لكني تواصلت في المسيرة مع حسن ظاهر إلى سنة 1998 ومن ثم استقل في فرقة خاصة به. كذلك كانت لي طريقي من خلال طاقات جديدة. ففرقة «السنابل» استمرت في عروضها حتى سنة 2003. قدمنا قديمنا وأضفنا إليه جديداً كمثل مسرحية «من يفتح الأبواب»، وكانت «حكاية ياسمين» هي الأخيرة.

■ لماذا توقفت فهل تراجع الإهتمام بمسرح الطفل؟

■ برأيي أنه خلال الحرب الأهلية أراد البعض التعبير عن نفسه بعيداً عن السلاح فكان «الكورس الشعبي» الذي إختزن طاقات كبيرة. ثم كانت فرقة «السنابل» حيث كان الأهل يأتون بأولادهم إلى المسرح حتى خلال القصف، وهو أيضاً نوع من التعبير عن رفض الحرب. حتى أن الناس كانوا يرغبون بلقاء بعضهم البعض في المسرح كتعبير عن حاجة داخلية. في التسعينيات تراجع حضور المسرح، وحالياً بدأنا نشعر بنهضة ما.

■ ما الفرق بين غازي مكداشي في بدايات فرقة «السنابل» والآن؟

■ إنها الخبرة رغم أني أعتبر نفسي في طور التعلم الدائم. أما تطلعاتي التي أرغب بتقديمها للأطفال فلا تزال كما هي أي الوحدة العربية، لأننا بدونها سوف نفنى في هذا العالم المتجه نحو التكتل. لكني صرت أكثر واقعية بحيث تكون هذه الوحدة إقتصادية فقط ولتبقى العروش حيث هي. مسرحياتي مستمرة لأنها تطرح قضايا إنسانية دائمة من حب وموت وفرح وتجمع وغيرها.

■ كيف تنظر إلى المواد التي تقدمها شاشات التلفزيون للصغار؟

■ للأسف شاشات التلفزيون جميعها تعمل ليكون لدينا إنسان عربي جاهل للتاريخ، مستهلك وغير مبدع. لكني مستمر في طريقي بعناد رغم أني أصرف من جيبي في بعض الأحيان.

يقول ان اقتراب الفنان من السلطة انتهازية مرفوضة

مصطفى فهمي: أزمة السينما ليست مادية ولكن أزمة عقول!

القاهرة ـ «القدس العربي»
ـ من عمر صادق:

الفنان مصطفى فهمي يرفض الاقتراب من منطقة السياسة ويرى ان الفنان يجب أن يكون منفصلا عن السلطة بشكل عام وبمفهومها المتعارف عليه لأن الفن لن يخلق شخصية مثل عمرو موسى مثلا، لكنه قادر على ترجمة آراء وفكر السياسيين من خلال الورق المكتوب سواء كان نصاً أو سيناريو، وهنا يأتي دور الفنان حيث يكون الأداة العملية التي تصل بهذا العمل إلى الناس لكن أن يدخل الفنان دائرة السياسة كما يحدث في أوروبا وأمريكا فهذا أمر صعب عندنا ويحتاج إلى وقت طويل.

■ هل من الضروري أن يتمتع الفنان برؤية سياسية ما بصفته لا ينفصل عن الواقع الذي يعيشه داخل المجتمع؟.

■ من حقه بالطبع ولا يستطيع أحد منعه، لأن الفنان له أهدافه الاجتماعية وليست السياسية بمعنى أن من حق الفنان أن يقدم عملا له صبغة سياسية وعليه أن يبحث عنها من خلال الورق المكتوب مثل العمل الذي قدمته مؤخرا وهو «زهرة الياسمين» وأتناول فيه فترة ما قبل قيام ثورة يوليو 52 بفترة قصيرة من خلال علاقة شاب بإحدى الفتيات، ويوضح ماذا حدث في هذه الحقبة التاريخية من الناحية السياسية وما بعدها وقوانين الاصلاح الزراعي الى ان تجبر الظروف هذا الشاب على مغادرة مصر حيث يعيش في الولايات المتحدة، وهناك يبدأ حياته وفي نفس الاطار تتداخل علاقة الاخوان المسلمين وحزب الوفد وجميع التيارات السياسية بحركة الضباط الأحرار.

وإذا اعتبرنا أن هذا العمل مثلا به سياسة فهذا مرجعيته المؤلف وليس الفنان.

■ هناك فنانون لا يستطيعون الابتعاد عن السلطة، ويتقربون منها دائما، كيف ترى الأمر؟

■ الفنان في العالم كله لا يقترب من السلطة ولا أنكر أن هناك فنانين يسعون الى جمع السلطة مع الفن وهذا يعود الى تركيبة شخصية الفنان في المقام الأول، ولكن من وجهة نظري أرى أن دور الفنان الحقيقي لابد أن يكون قريبا من الناس وليس من السلطة وعليه فإنه ملزم بالتعبير عنهم ومناقشة أحلامهم.

■ ما رأيك في سفراء النوايا الحسنة الذين ترشحهم منظمة الأمم المتحدة للقيام بأدوار انسانية في العالم؟

■ السفراء حاجة شرفية بمعنى ان الفنان الذي يحمل اللقب ليس شرطا أن يكون سفيرا مثلا، لأنه عمل خيري وتطوعي وانساني وفخري في المقام الأول ويتم اختيارهم بسبب شعبيتهم عند الناس، وهناك فارق كبير بين السياسي الذي يعمل بالسياسة البحتة وبين السفراء الذين تختارهم منظمة الأمم المتحدة، وليس كل من يرشح سفيرا للنوايا الحسنة نطلق عليه رجل سياسة.

■ ايهما يخدم الآخر السياسة أم الفن؟

■ السياسة من وجهة نظري تخدم كل شيء، فعندما تكون هناك سياسات مرسومة وواضحة وقائمة على أسس سليمة وعلمية مثلما هو معمول به في أوروبا نرى أفلاما سينمائية ناجحة، ومن هنا يبدو دور السياسة واضحا لأنها تهدف في النهاية الى الارتقاء بالمنظومة الاجتماعية، وهو نفس الدور الذي يلعبه الفن بواسطة الفنان الجاد الذي يحمل هموم مجتمعه وله رؤية قومية في أعماله.

■ ما رأيك في الأعمال الدرامية التي تحمل مفاهيم سياسية، هل الجمهور يتعاطف معها؟

■ بالتأكيد هناك تعاطف خاصة إذا ما كانت هذه الأعمال تطرح مرحلة تاريخية مهمة في حياة الشعوب، وأعتقد ان الشباب الصغار هم الأكثر تعاطفا لأنهم لم يعاصروا هذه الحقبة وبالتالي يحرصون على التعرف على طبيعة هذه المراحل.

■ ما الهدف من وراء تقديم دراما سياسية من وجهة نظرك؟

■ هذه النوعية من الأعمال تهدف إلى الكشف عن مناطق ضعف وقوة هذه المراحل التاريخية حتى نستطيع أن نأخذ منها الدروس والعبرة لحاضرنا ومستقبلنا واعادة تقييم الفترة السلبية التي تعيشها تلك الشعوب آنذاك.

■ الدراما الحالية، هل تشكل أزمة جنبا الى جنب أزمة السينما؟

■ أعتقد أن الدراما الآن والسينما وجهان لعملة واحدة رديئة، نحن زمان كنا نقدم المسلسل مثلا 15 حلقة فقط، ومع ذلك كانت حلقاتها قادرة على خلق حالة خاصة من الابداع الحقيقي التي يعيشها الجمهور، الآن المسلسل 30 حلقة أو اكثر، وهناك حالة من تشتت الذهن لدى المشاهد بسبب أحداث مطولة و«ممطوطة» وكثيرا ما يحدث «لخبطة» عند المشاهدين وهنا يصعب تحديد العمل الجيد من الرديء وكل ذلك يأتي على حساب اعصاب الفنان المرهقة أساسا وللأسف لا نكتشف ذلك إلا بعد عرض هذه المسلسلات مباشرة وليس خلال متابعة أحداثها.

■ قلت أن السينما والدراما تعانيان، من وجهة نظرك مسؤولية هذا؟

■ مسؤولية التأليف الذي لم نطلق له العنان ليبدع أعمالا للأسف نحن أشهرنا أسلحة الدمار الشامل ضد الابداع والخيال بشكل عام، وفرضوا علينا الخوف من كل شيء ابتداء من الابهار وأعمال العقل والخيال فتوقفنا عن الابداع والتميز لأن الفن الخائف والمتردد لا يصنع دراما يتفاعل معها الجمهور.

■ معظم العاملين في الحقل السينمائي يرون أن أزمة السينما هي مادية في المقام الأول؟.

■ غير صحيح بدليل أن أفلام كثيرة تصور في أوروبا وأمريكا، أزمة السينما هي في الفكر والعقول التي تخطط، والتي تهزم الخيال نفسه، فعندما نحلم نصل الى المستحيل.

■ «وسامتك»، هل اثرت عليك فنيا؟ أسرتك في أدوار بعينها؟

■ قبل أن أكون وسيماً وأرستقراطيا انا ابن بلد، ومقرب جدا من الطبقات الشعبية والبسطاء ولا أعيش في كوكب تاني، أحمد لله أنني محبوب من الغلابة والمهمشين، أولاد مصر الحقيقيين.

مصطفى فهمي

فاس تشارك في «كأس العالم» بألمانيا ولكن .. بالفنون!

برلين ـ «القدس العربي» ـ من ادريس الجاي:

أبت فاس كعادتها إلا ان تكون رمانة سرية، طلسما يأسر بألغازه ونوره المبهم العابرين الوافدين، من المدن المتوزعة الى المدينة الالمانية هانوفر، هذه المدينة، التي تقارب في وداعتها، صمتها، وسرها الطالع من عيون لياليها المخملية. فاس، فاس أبت إلا ان تفك عنها أسرارها، الغازها، التي تشكلت عبر ذوبان السنين والاهمال ومرارة الغربة الداخلية. كانت فاس نداء، صرخة وصية في عين إبن أزقتها الملتوية الدائرة حول نفسها، المُجثتت من التيه المتوالد. دروب متاهة عينها، تأبطها الرسام حسن جميل في رحاله كدروب مهووسة بهاجس الحيرة، لوحات، مصورات، جداريات، حملها على عاتقه، قدمها حنينا وأغنيات عشق لا ينتهي، طالع من أنفاس فجرها المنبلج من وهاد غسق عميق. ترنيمات اصوات المؤذنين من فوق الصوامع السامقة الى المطلق، خضرة قباب الجوامع، الاضرحة، المتطلعة الى سنا السماء. زرقة لونها الأزوري، المتوغل في غياهب الماضي. «فاس المدينة» اسم معرض أقامه في مدينة هانوفر الفنان حسن جميل، تلبية لدعوة احد مراكز المدينة الثقافية «البافيون». فقد تم افتتاح هذا المعرض في التاسع من الشهر الماضي واستمر شهرا، ضمن نشاطات المدينة الثقافية والفنية كإحدى المدن الالمانية المستضيفة لمباريات كأس العالم. حسن جميل يزج من خلال معرضه هذا بمشاهديه غير مختارين، في ساحات، مداخل، منعرجات وسراديب المدينة السرية، يغريهم بالسياحة في ثنايا المدينة الاسطورية، يهديهم الى التوغل في ذاكرة المدينة، التي تمنح الاحساس بالحياة في عصور مطلقة. فالمعرض بوح مقتر عن ممرات، فضاءات تتوزع بين الضوء المتسلل الى الفناءات والظلمة الحافظة لسر المدينة، بين التجريد والإيحاء المغذي لفضول الرغبة في إقتحام المكنون. إن كل ذلك يكتبه جميل بلغة كلماتها الالوان، قصائد إيقاعاتها الاصباغ وألفاظها العتمة والنور الذي يلقي بسحره من فوق المرتفعات على ذلك البحر اللجي من الدور والمساكن، حيث هدأة موج من المربعات المبعثرة فوق بعضها وكأنها القيت من فوق السحاب.

لم يفتح معرض حسن جميل «فاس المدينة»، الذي يحتضنه حاليا الجناح الشمالي للمركز الثقافي البافيون، «الميتسو»، نافذة على مدينة الالف ليلة وليلة فقط، بل أوقد في بعده الثقافي والحضاري، جذوة حوار بين المدينة وبين العالم الزائر، هانوفر. لقد سجل هذا المعرض ولاول مرة حدثا على مستوى علاقة الإدارة المغربية بالمواطن، سابقة، لا تتمثل في الدعم المالي الذي قدمه مجلس مدينة فاس البلدي للمعرض الذي أقيم خارج المدينة، خارج الوطن، بل اكثر من ذلك، ان يلبي هذا المجلس الاداري، دعوة مواطن لزيارة معرض إبداعه وذلك بعيد بالاف الكيلومترات. ففي إطار هذا التنسيق الثقافي قام المركزالمضيف للمعرض، «البافيون»، بتوجيه دعوة تحت اشراف المدير الفني لقسمه المسرحي، عبد الفتاح الديوري، الذي هو أحد أبناء فاس المدينة، الى السيد حميد شباط رئيس المجلس البلدي لمدينة فاس، حيث قام هذا الاخير، برفقة وفد يتكون من ابن عمر اليماني رئيس مجلس عمالة فاس، وفريد امغار نائب رئيس المجلس البلدي لمدينة فاس عبد السلام الزروالي رئيس مندوبية الاعلام سابقا لمدينة فاس ولمدينة العيون حاليا، بزيارة الى مدينة هانوفر من 22 الى 25 من الشهرالماضي. لقد أثمرت هذه الزيارة، عن عدة لقاءات مع المسؤولين الهانوفريين، الذين إستقبلوا الوفد الفاسي بشكل رسمي تحت إشراف عمدة المدينة الدكتورهربيت شمالشتيس وذلك برفع العلم المغربي على مدخل مبنى بلدية المدينة.

بعد قيام الوفد الفاسي بجملة من الزيارات لعدد من المرافق الحيوية والصحية للمدينة وفتح الحوار مع المسؤولين المحليين حول عدة مواضع ذات الإهتمامات الراهنة والمشتركة كالهجرة السرية، والحريات العامة، وحقوق الانسان والديمقراطية، زار الوفد معرض سفير فاس المدينة الى المدينة الالمانية. فعلى الرغم من اهمية الماضي في تحديد سمات هوية المدينة وملامحها، فإن معرض حسن جميل والجهود التي بذلت من اجل دعمه سواء داخل فاس اوخارجها، يستقي قوته من هذا الماضي لخلق حلم مستقبل المدينة، حلم معبأ في رؤية تجسد قوة الاصرار، والرغبة المتواصلة في الدفع بالإهتمام والفضول الثقافي خارج الحدود من اجل خلق امكانية شق طريق مستقبل المدينة الحضاري وليس ماضيها التاريخي فحسب او حاضرها السياحي. فقد تجاوز حسن جميل بهذا الحضور حدود خارطة معرضه للمشاركة في فعاليات عالم الحركة الثقافية والفنية لمدينة هانوفر وذلك بإفتتاح مهرجان كأس العالم المسرحي من خلال رسوماته الفورية للزائرين. فقد اثبت الى جانب غيره من الفنانين، ان مغادرة الفريقين العربيين التونسي والسعودي، لم تسدل الستار نهائيا على المشاركة العربية في دورة نهائيات بطولة كأس العالم لكرة القدم، بل على العكس فقد تسلم هذه المهمة فريق عربي اخر بغرض المضي في دورة نهائيات كأس العالم لكن هذه المرة ليس لكرة القدم، بل للمسرح. «المسرح الرياضي ـ بطولة العالم»، هو مشروع مسرحي ضمن ثمانية واربعين مشروعا ثقافيا وفنيا، تشهده تسع عشرة ولاية المانية في إطار بطولة كأس العالم. حيث يشارك فيه ستة عشر فريقا، من افريقيا المغرب والزمبابوي، من أمريكا الجنوبية الارجنتين وكولومبيا، وكندا والولايات المتحدة الامريكية عن أمريكا الشمالية، والبلد الآسيوي الوحيد اليابان، وعن القارة الاسترالية والمحيط نيوزيلاندا. اما المجموعة الاوروبية فقد ضمت كلاً من المانيا، فرنسا، السويد، سلوفينيا، النمسا، إيطاليا، روسيا وبلجيكا. فهذه المنافسات تعرف تقريبا نفس قواعد مباريات كرة القدم من حيث وجود فرقة موزعة الى مجموعات اربعة، حسب الحروف الابجدية، وحكم، وجمهور مشجع لهذا الفريق او ذاك اما الفارق الوحيد فهو يكمن في أن هذه المباريات تجري فوق ملعب خشبة المسرح وليس فوق ميدان عشب اخضر. ففي المجموعة الاولى (أ)، مثلا، سيواجه الفريق الياباني نظيره النمساوي كما سيواجه الفريق المغربي الفريق العربي الوحيد المشارك في هذا العرس المسرحي الارتجالي بعناصره كوثر بن حمو، وهشام إبراهمي وسلوى الركراكي، نظيره البلجيكي. واما حسن جميل فسيكون المعلق اللوني على هذه المباريات.

فضائيات

«طيران» فايز صايغ من هيئة الاذاعة والتلفزيون السوري .. بلا شماتة!

أنور بدر*

■ أصدر المهندس محمد ناجي العطري رئيس مجلس الوزراء ـ مع يقيني بعدم ضرورة إضافة لقب المهندس إلى مقام رئاسة الوزراء باعتباره أعلى من تلك الألقاب والنعوت ـ المهم أنه أصدر قراراً يقضي بإسناد وظيفة مدير عام الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون للسيد ماجد حليمة، بدلا من الدكتور فايز الصايغ، والأستاذ حليمة كان يشغل سابقاً مدير الأخبار في الإذاعة منذ عام 1989 وهذا يشير إلى مهنيته الوظيفية، إذ كتب المقال والتعليق السياسي، وأعد وقدم العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، كما درس في معهد الصحافة ومعهد العلوم السياسية في موسكو بعدما نال إجازة في الدراسات الفلسفية والاجتماعية من جامعة دمشق.

ومع اعترافي بمهنية السيد حليمة وجدارته بهذا الموقع عن سابقيه بالجمع، إلا أنني وفور سماعي الخبر تذكرت القول السائد «بلا شماتة»، وإن ذهب الظن في بعضكم إلا أن المعني بالقول هو الدكتور فايز الصايغ المرحل عن الهيئة العامة، فسوف أسارع للتصحيح أن الكثيرين في سورية وخاصة صحافييها ومثقفيها سيقولون: بل وشماتة، كما قالوها إثر سقوط هرم ع.ع.ع عن عرش اتحاد الكتاب العرب بعد ثلاثة عقود تقريباً. صحيح أن الصايغ لم يستمر كل هذا الزمن، لكن التاريخ الوظيفي للدكتور الصايغ يحيلنا بالضرورة إلى لعبة الكراسي، فسورية التي تعد الآن قرابة عشرين مليون نسمة، لا تملك بكل أسف إلا عددا من المثقفين وعباقرة الإعلام لا يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد، بعضهم متشبث بكرسيه أمثال السيد ثلاثي العينات، والدكتور صابر فلحوط رئيس اتحاد الصحافيين السوريين، وبعضهم يتبادل إشغال الكراسي الفارغة بالتناوب، فهذا الصايغ شغل رئاسة وكالة «سانا» السورية للأنباء وخرج منها بفضيحة كادت تودي به للمحاكمة الحزبية والجنائية حسبما نُشر قبيل المؤتمر القطري الأخير، وكان قبلها في الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، ورئيس مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر والتي تصدر عنها صحيفة «الثورة» وصحف المحافظات والصحيفة الرياضية الوحيدة آنذاك، ولكنه عاد بقدرة قادر إلى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، مؤكداً أن خياركم في الجاهلية ـ خياركم في الإسلام ـ وأخشى أن يبقى هذا الخيار قائماً في المستقبل، فيفاجئنا الصايغ الذي خرج من مبنى الإذاعة والتلفزيون بالعودة عبر (براشوت) قواه الخفية، والتي تجعل من شبه المستحيل الاستغناء عنه. ولدينا في سورية سوابق بخصوص مسؤولين صدر قرار تعيين بدائل عنهم، لكنهم اعتصموا بكراسيّهم كالشاعر توفيق أحمد مدير التلفزيون السابق، لفترة تطول أو تقصر وفق حجم وطاقة القوى الخفية لكل منهم.

إلا أنني أعود لموضوع الشماتة نافياً هذه المرة، أقول للأخ ماجد حليمة «بلا شماتة» لأنه كالقائد العسكري الذي يدخل موقعاً محروقاً، كما دخلت ديانا جبور من قبله إلى إدارة التلفزيون، فماذا حققت، وماذا طورت؟

علينا أن نعترف أن الثقل الرسمي لهذه المؤسسات والثقل الرسمي للعقبات القانونية والبيروقراطية والمادية والكادرية تحول دون إمكانية تجاوزها أو التطوير من خلالها. واعتقد أن السيد حليمة هو أبن هذه المؤسسة، وأهل مكة أدرى بشعابها، وبالتالي هو أدرى باستحالة تربيع الدائرة بين ما هو كائن وما هو مشتهى.

تطور الصحافة السورية

■ الخبر أن الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون انتهت من عمليات المونتاج للفيلم الوثائقي «ماضي الصحافة السورية»، الذي يسبر تلك الصحافة ابتداء من نهاية العام 1800 وحتى بداية الألفية الجديدة. ومحطته الأهم ما بين عام 1908 وحتى نهاية الخمسينيات في سورية حيث وصل عدد الصحف والمجلات في تلك الفترة إلى أكثر من 40 صحيفة ومجلة، ثم جاءت مرحلة التأميمات والحزب الواحد وتقلّص عدد الصحف إلى اثنين ثم ثلاث ما بعد السبعين، ولا أعرف إن كان الفيلم سيتجرأ على الوقوف مع هذه الحقيقة، ليس في مستواها الرقمي، ولكن في دلالتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ أن الإعلام الرسمي يبرر كل تقاعسه وانحطاطه المهني بـ «الرسالة الوطنية والسياسية والقومية التي تهدف إلى حشد الطاقات العربية والتصدي للمخاطر الإمبريالية والصهيونية»، ناسياً أن الإعلام غدا صناعة تحتاج إلى توظيفات مالية هامة، لكنه يحتاج بداية إلى الحرية، ولا تطوير للإعلام بدون حرية فكرية وسياسية تنعكس في حرية التعبير.

ولكن الحديث عن حرية التعبير وعلاقتها بالإعلام المقروء والمسموع والمرئي يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن حرية الوصول إلى المعلومة، وهي حرية تكاد تتلاشى إلى درجة الصفر أمام التكتم الرسمي على المعلومات والحقائق بذريعة أنها قد تخدم العدو، متجاهلين أن لا شيء يخدم أعداءنا بقدر التستر على الفساد والأخطاء في حياتنا. حتى أن رداً رسمياً من قبل الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، نُشر في الصحافة الرسمية أيضاً، وهو يرفض أي ملاحظة تتناول عدم تجديد الأخبار في الشريط الإخباري مثلاً، ويؤكد كاتب الرد أن «خبراً مثل تأكيد الصين وقوفها إلى جانب سورية لاسترجاع الجولان المحتل» ليس من تلك الأخبار التي تفقد النكهة الخبرية وبالتالي يمكن أن يستمر عرضه إلى ما شاء معد الشريط الإخباري، كون الشريط يعبر عن شاشتنا الوطنية، لأن «التلفزيون السوري ليس شاشة لدولة مثل جزر القمر أو هونغ كونغ أو لدولة تعيش على المريخ، بل هو منبر لبلد يعيش في قلب الأحداث». وكأني بكاتب الرد يكتب تقريراً أمنياً، يشكك بوطنية كاتب الملاحظة، سواء صدقت ملاحظته أم أخطأت، لكننا نحمد الله أن الجهات الأمنية لم تأخذ بوشاية كاتب الرد والذي تعمد إغفال اسمه ليحظى بقوة خفية يستمدها من قوة الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون. لكنني ما زلت أخشى على الدكتور مازن المبارك والذي انتخب بالإجماع عضواً في مجمع اللغة العربية لأنه تجرأ في مقابلة أخيرة وأفصح بالقول «كانت وسائل الإعلام تُعنى باللغة، فأصبحنا نراها تُعنى بكل شيء إلا اللغة، فأخطاء بعض المذيعات والمذيعين أخطاء مخجلة».

مع أن الدكتور مبارك يتابع مستنكرا «فكيف يجوز هذا وفي دمشق خاصة؟ وكيف يسمح المسؤولون في وزارات الدولة المعنية أن يستمر هذا؟».

وأنا لا أعلم إن كان عضو مجمع اللغة العربية يستنجد بالمسؤولين عبر استنكاره السابق أم هو يشي بهم؟ ولا أعلم إن كان الدكتور المبارك يتوهم أن المسؤولين يجيدون اللغة العربية أكثر من مذيعاتنا ومذيعينا؟ لكنني في كل الأحوال آمل الا يصيبه مكروه جراء حرصه على اللغة العربية، التي فقدت وسائل الإعلام، وبشكل خاص الدراما منها أي اهتمام بها.

فمع جنوح الدراما باتجاه الأعمال الاجتماعية المعاصرة، شاهدنا العام المنصرم جنوحاً نحو الهبوط في مستوى اللغة العربية ليس باتجاه العامية والمفصحة فقط، وإنما باتجاه الابتذال والسوقية أحياناً، باعتبارها تحاكي واقعاً يُقر صانعوها أنه مبتذل وسوقي أيضاً.

تدجين الفضاء

■ منذ سنوات ليست قليلة كنت أتحدث مع صديق يمتهن الكتابة الدرامية، فأشار إلى معضلة أنهم في عملهم ليسوا معنيين فقط بالرقيب الرسمي، ولكنهم معنيون بجملة من الرقباء تبدأ من رقيب الشركة المنتجة ولا تنتهي عند صف الرقباء في الفضائيات العربية، والذي يحمل كل منهم مسطرته ويقيس عليها ليقبل بالعمل أو يرفضه.

وبالتالي على كاتب النص أن يتقيد بعدة من لوائح ممنوعات سبق لياسر العظمة أن تعرّض لها في إحدى مراياه، لكن المشكلة ما تزال قائمة.

والمشكلة ليست في حدود الدراما، لكنها تتناول الأفلام والبرامج المستوردة أيضاً، بحيث تؤدي الاقتطاعات من بعض الأفلام الأجنبية التي تخصصت أكثر من فضائية عربية بعرضها، إلى تشويه الفيلم أو ضياع الحبكة أو اللغز منه، لكننا بذلك نحافظ على أخلاقنا الحميدة من أي قبلة قد يدسها مخرج أجنبي في فضائياتنا!

والنكتة التالية أنقلها حرفياً عن زميلي سلمان عز الدين كما نشرها تحت عنوان «الفضاء أيضاً.. تحت السيطرة» إذ كتب:

«في محطة متخصصة ببرامج الأطفال، وفي واحدة من حلقات مسلسل الكرتون «الرحالة الصغير» يظهر صياد عجوز وهو يشرب من كأس كبير ثم يترنح شمالاً ويميناً ويتلفظ بعبارات متلعثمة غير مترابطة ويقوم احد جيران العجوز بشرح المسألة للرحالة الصغير على هذا النحو: لقد فقد حفيده الذي غرق في البحر ومن يومها اعتزل في بيته وأدمن شرب الشاي..!!

بالطبع موقف نبيل أن تحمي المحطة الأطفال من مفردة «الخمرة» ولكن كيف ستشرح لهم هذا المفعول المسكّر والمدوّخ للشاي...؟! ولأنّ الرقابات العربية وجّهت بضرورة اتخاذ أسماء عربية للشخصيات الكرتونية المدبلجة، فقد ظهر هندي أحمر في المسلسل المدبلج تحت عنوان «لوز وسكر» وهو يصيح في وجه الرجل الأبيض «الأمريكي»: هذه أرض آبائي وجدودي ولن أخرج منها إلا ميتاً والغريب أنّ هذا الهندي الأحمر كان اسمه «هشام»، أما الأمريكي فاسمه السيد «رامز» ومساعده «مسعود»..!!

ثمة العشرات والعشرات من الأمثلة التي تثبت أنّ الرقابة العربية في طريقها إلى تدجين الفضاء أيضاً..».

* كاتب من سورية

وارضيات